وجدتُ في حضورِ بعضِ الشخصيّات الثقافيّة العربيّة (وفي طليعتها إدوارد سعيد) لعددٍ مِنَ المؤتمرات الأكاديميّة **في السَّابق** دفعاً لقضيّة فلسطين العادلة ودَحْضاً لمجمل الأكاذيب الصهيونيّة والخِداع الإعلاميّ الغربيّ... وبخاصّة حين **لا** تُعْقَدُ هذه المؤتمرات تحت شعاراتٍ مشبوهةٍ تكرّسُ الظلم القائمَ مثل شعار «أفكار ما بَعْدَ السَّلام»!

ومع ذلك، فإنَّ في موقف اتحادكم الكثيرَ مِمّا لا أوافقُ عليه. بلْ يحزّ في نفسي ـ بعد كلّ ما ذكرتُ، وما لم أذكرْ، مِن أوجه تقاربٍ بيني وبينكم ـ أنْ أجدني في موقع المخالف لهذه الخطوة التي تخطونها في مواجهة التطبيع مع العدوّ الإسرائيلي.

١ ـ فَهَلْ أدونيس عضوٌ إداريّ أو تنفيذيّ في اتحادِكم، بحيثُ يشكّل وجودُه فيه خَطَراً على سياسة هذا الاتحاد؟ إذا كانَتْ هذه هي الحال، فإنَّ من حقّكم اتّخاذَ التدابير الآيلة إلى حفظ الاتحاد وتعزيزه. ولكنّي أعتقد أنّه كانَ مِنَ الأفضل، حتى في مثل هذه الحال، وحفاظاً على روح التعاون والتكاتف بين أفراد «المهنة» الواحدة، أنْ تصدروا بياناً توضحون فيه للرأي العام العربي والعالميّ (بما في ذلك الرأي العام «الثقافي الإسرائيلي») أنَّ الشّاعر السوري أدونيس لا يعبّر عن رأي اتحاد الكتاب العرب في سورية وإنّما يعبّر عن رأيه الشخصيّ ولا يلزمُ مؤسسةَ الاتحاد بشيء. أما وأنَّ أدونيس عضوٌ عاديٌّ في الاتحاد، ولا يعبّر عن توجّهات هذا الاتحاد الثقافية أو السياسيّة، فقد كانَ مِنَ المستحسن أنْ يكرّس اتحادُكم بعضَ الندوات الخاصّة للقاءات المثقفين العرب بإسرائيليين، وذلك ضمن خطّة **شاملة** في مواجهة التطبيع، أو أن يُخَصِّصَ اتحادُكم بعضَ الصفحات في جريدة **الأسبوع الأدبي** لجميع أشكال المعارضة الثقافيّة للتطبيع. ولئن شاء الاتحادُ أن يأخذَ بالخيار الأخير، فإنَّه مِنَ المستحسَن أن يفسَحَ المجال واسعاً أمامَ أدونيس أو غيْرِهِ مِنَ المخالفين لِعَرْضِ أفكارِهم... على أن تُؤكّد الأمانةُ العامّةُ للاتحاد، أو رئاسة تحرير **الأسبوع الأدبي**، على حَقّ «الأقلية» في التعبير المطلق عَن رأيها دون إرهابٍ أو تخوينٍ أو تَشفِيه، وأن تُؤكّدا أيضاً على أنّ حوارَ المثقفين هو أفضلُ طريقةٍ للتعرُّف على كافّةِ سُبُلِ المواجهة. فتحصينُ «روح الأمّة» لا يكون ـ كما تعلمون ـ بالإقصاءِ والإلغاءِ والاغتيال، بل بالحِوار الداخلي وإنعاش الحِسّ المدنيّ بالحريّة والعقلانيّة.

٢ ـ هل يجدر، أساساً، باتّحادٍ ثقافيّ أن يطردَ واحداً من أعضائه لخِلافٍ في الرأي بين هذا العضو وبين أمانَتِهِ العامّة، أو

موقفنا...

قضيّة موقف الشاعر أدونيس تشبه، في محصلتها الأخيرة، قضية الروائي نجيب محفوظ.

كلاهما شجّع وبارك الحوار مع العدوّ الإسرائيليّ، في ندوات أو لقاءات أو تصريحات، بحجّة السعي إلى السلام. ولم يكن العقاب الذي أنزل بأدونيس، بطرده من اتحاد الكتّاب العرب في دمشق، بأقلّ قسوة من الاعتداء على محفوظ؛ فكلاهما أُهدر دمه، على اختلاف في طريقة الإهدار.

وإذا كان علينا، نحن المثقفين العرب، مواصلة النضال الثقافي من أجل الإسهام في إنهاض الأمة العربية، فلا مناص لنا من أن نتميّز، في موقفنا وسلوكنا، عن السياسيين والحكّام والأنظمة. ولن يتخذ هذا التميّز شكلاً آخر غير رفض الحوار الذي قبلوه هم، بإقرار مبدأ التفاوض.

إننا نؤكد، مرة أخرى، شجب الحوار والتفاوض، لأنه يقوم بين طرفين غير متكافئين: ظالم ومظلوم، معتدٍ ومعتدى عليه. لن يعترف الأول، ولو كان يمثّله مثقف، بهذا الواقع، ولن يقرّ للثاني بالحقّ في النضال والمقاومة لرفع الظلم واسترداد الحقّ. فما جدوى الحوار والتفاوض إذن؟ ألن يكون السلام، في هذه الحالة، سلاماً مشوّهاً كما هو الوضع الآن في المفاوضات ـ على تعثّرها؟

ومع ذلك، فنحن نرفض معاقبة أصحاب الرأي المخالف من مثقّفينا، دعاة الحوار، أيّاً كان الشكل الذي يتّخذه. ذلك أن هذا العقاب لا يمكن أن يوصف إلا بأنه قمع للحريّة، وهي القيمة العليا للثقافة. سيكون هناك صراع بين دعاة الحوار ومخالفيه، فليستمرّ هذا الصراع.

وكما شجبنا الاعتداء على نجيب محفوظ بمحاولة القتل والاغتيال، نشجب الاعتداء على أدونيس بالفصل والطرد.

د. سهيل ادريس